طفل معجزة عصره

للأطفال

تأليف

عبد العزيز الشناوي

مكتبة الإيمان
المنصورة - أمام جامعة الأزهر
ت : ٣٥٧٨٨٢

الطبعة الأولى

١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

مكتبة الإيمان بالمنصورة

مقدمة

عرض لرسول الله ﷺ رجل عند الجمرة الأولى ـ أثناء حجة الوداع ـ فقال:

ـ يا رسول الله أى الجهاد أفضل؟

فسكت عنه النبى ﷺ . فلما رمى الجمرة الثانية سأله.. فسكت عنه. فلما رمى جمرة العقبة وضع رجله فى الغرز ليركب قال ﷺ :

ـ أين السائل؟

قال الرجل:

ـ أنا يا رسول الله .

قال المبعوث رحمة للعالمين ﷺ:

ـ كلمة حقٍ عند ذى سلطان جائر.

(أخرجه ابن ماجه عن أبى أمامة)

طفل معجزة عصره

حكى الأب لأولاده أحمد وأسماء وزينب ومحمد وزوجته قصة الحجاج بن يوسف الثقفى فقال:

ـ لو كان لفرعون أخ لكان الحجاج بن يوسف الثقفى لقد كان حاكما ظالما لا يدع لله معصية إلا ارتكبها حتى لو لم يبق إلا معصية واحدة وكان بينه وبينها باب مغلق لكسره حتى يرتكبها يقتل بمن أطاعه من عصاه.

وكان أهل العراق يتمنون موته العاجل.

وذات يوم كان الحر شديدا فأراد الحجاج بن يوسف أن يطفىء وهج جسده فمشى إلى نهر قريب من قصره فجرفه الموج وكان لا يعرف السباحة وأوشك على الغرق فأخذ يصيح مستنجدا:

ـ الغوث . . أغيثونى.

فأقبل الناس . . فلما عرفوه لم يتقدم أحد لنجدته وقالوا:

ـ دعوه لعله يغرق ونستريح من شره.

وهم رجل أن يثب إلى النهر لينقذ الحجاج فأمسك الناس به وضربوه. . ولكن الرجل غافل الناس وقفز فى الماء وجذب الحجاج إلى شاطىء النهر.

فقال الناس:

ـ لم فعلت هذا ياعدو الله؟

قال الرجل:

ـ لو تركناه يموت غرقا لدخل الجنة ألم يخبرنا رسول الله ﷺ أن الغريق شهيد؟

فقال أحمد وزينب:

ـ لقد فعل الرجل الذى أنقذه خيراً.

فتبسم الأب واستطرد:

ـ وذات يوم أراد الحجاج أن يسمع قول الناس ورأى الناس فقال لغلام له:

ـ تعال نتنكر وننظر ما لنا عند الناس.

فتنكرا وخرجا فمرا على المطلب غلام أبى لهب فقالا:

ـ يا هذا أى شىء خبر الحجاج؟

قال المطلب غلام أبى لهب:

ـ على الحجاج لعنة الله.

فتساءلا:

ـ فمتى يخرج؟

قال المطلب غلام أبى لهب:

ـ أخرج الله روحه من بين جنبيه مايدرينى

قال الحجاج بن يوسف الثقفى:

ـ أتعرفنى؟

قال المطلب غلام أبى لهب:

ـ لا.

قال الحجاج:

ـ أنا الحجاج بن يوسف.

فقال المطلب غلام أبى لهب:

ـ أتعرفنى أنت؟

قال الحجاج:

ـ لا

قال غلام أبى لهب:

ـ أنا المطلب غلام أبى لهب معروف اصرع فى كل شهر ثلاثة أيام أولها اليوم.

فتركه الحجاج بن يوسف ومضى.

فقالت الزوجة:

ـ لقد ادعى غلام أبى لهب أنه مجنون فآثر الحجاج السلامة ومضى.

فقال الأب:

ـ وانفرد الحجاج يوماً عن عسكره فمر ببستانى يسقى حائطه[1] فقال له:

ـ كيف حالكم مع الحجاج؟

فقال البستانى:

ـ لعنه الله المبيد [2] الحقود عجل الله الانتقام منه.

(١) حائطه: بستانه أو حديقته.

(٢) المبيد: كان يحصد الأرواح حصداً.

فتساءل الحجاج:

- أتعرفنى؟

قال البستانى:

- لا

قال الحجاج بن يوسف:

- أنا الحجاج

فلما رأى البستانى أن دمه قد طاح رفع عصا كانت معه وقال:

- أتعرفنى؟

قال الحجاج بن يوسف الثقفى:

- لا

قال البستانى:

- أنا أبو ثور المجنون وهذا يوم صرعى.

وأزبد وأرغى وهاج وأراد أن يضرب رأسه بالعصا فضحك الحجاج منه وانصرف.

فقال محمد:

- لو لم يفعل ذلك لقتله الحجاج.

فقالت الأم:

لقد سلطه الله على أهل العراق.

ثم تساءلت:

- ماذا فعل الحجاج بن يوسف مع أم علقمة الخارجية؟

قال الأب:

كانت أم علقمة الخارجية من ربات الفصاحة والبلاغة والشجاعة وقوة الحجة أتى بها إلى الحجاج بن يوسف فقيل لها:

- وافقيه فى المذاهب فقد يظهر الشرك بالمكر.

فقالت أم علقمة الخارجية:

- قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين.

فقال محمد:

- لماذا سميت أم علقمة الخارجية؟

قال الأب:

- لأنها من الخوارج

فقالت أسماء:

- من هم الخوارج؟

قال الأب:

- الذين خرجوا عن طاعة أمير المؤمنين على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان أثناء الفتنة.

قالت زينب:

- ماذا قال الحجاج لأم علقمة عندما رفضت أن توافقه فى المذاهب؟

قال الأب:

قال لها الحجاج: قد خبطت الناس بسيفك يا عدوة الله خبط عشواء.

فقالت أم علقمة الخارجية:

- لقد خفت الله خوفا صيرك فى عينى أصغر من ذباب.

وكانت منكسة الرأس - خافضة الرأس - فقال لها:

- ارفعى رأسك وانظرى إلى.

فقالت أم علقمة الخارجية:

- أكره أن أنظر إلى من لا ينظر الله إليه - من يكرهه الله عز وجل - فقال الحجاج بن يوسف:

- يا أهل الشام ما تقولون فى دم هذه؟

قالوا:

- حلال - أباحوا قتلها -

فقالت لهم أم علقمة الخارجية:

- لقد كان جلساء أخيك فرعون أرحم من جلسائك حين استشارهم فى أمر موسى عليه السلام فقالوا:

أرجه وأخاه - هارون عليه السلام -

قالت أسماء:

- ما معنى أرجه وأخاه؟

قال الأب:-

أخره وأخاه حتى نجمع له من مدائن مملكتك وأقاليم دولتك كل سحار عليم يقابلون موسى بنظير ما جاء به من السحر فتغلبه أنت وتكون لك النصرة والتأييد . . فأجابهم فرعون إلى ذلك.

قال أحمد:

- ماذا فعل الحجاج بأم علقمة الخارجية؟

قال الأب:

ـ قتلها

قالت الأم:

ـ ماذا قال الحجاج بن يوسف للأعرابى الذى لقيه وفى يده عصا؟

قال الأب:

لقى الحجاج بن يوسف أعرابياً يوماً فسأله:

ـ من أين أقبلت يا أعرابى؟

قال الأعرابى:

ـ من البادية

قال الحجاج:

ـ وما فى يدك؟

قال الأعرابى:

ـ عصاى أركزها لصلاتى وأعدها لعداتى وأسوق بها دابتى وأقوى بها على سفرى وأعتمد بها فى مشيتى لتتسع خطوتى وأثب [1]بها النهر وتؤمننى من العثر وألقى عليها كسائى فيقينى الحر ـ إذا ألقى عليها كساءه صارت كخيمة ـ ويدفئنى من القر [2]وتدنى [3] إلى ما بعد منى ـ إذا أراد ثمرة فى شجرة عالية جذبها بعصاه ـ وهى محمل سفرى ـ يعلق فيها صرة بها ملابسه أو طعامه ـ وعلاقة اداوتى ـ يعلق فيها قربة ماء شربه ـ أعصى بها عند الضراب وأقرع [4] ـ بها الأبواب وأتقى بها عقور الكلاب

(١) أثب: أقفز.

(٢) القر: البرد.

(٣) تدنى: تقرب.

(٤) أقرع: أدق وأطرق.

ـ الكلاب المسعورة ـ وتنوب عن الرمح فى الطعان ـ يستعملها كرمح عند القتال ـ وعن السيف عند منازلة الأقران ـ يتخذها كسيف عند مبارزة أقرانه ـ ورثتها عن أبى وأُوَرِّثها بعدى إلى ابنى وأهش بها على غنمى ـ أضرب بها فروع الشجر فتتساقط أوراقها فتأكلها الغنم ـ ولى فيها مآرب أخرى كثيرة لا تحصى.

فتساءل محمد:

ـ ما معنى ولى فيها مآرب أخرى؟

قالت الأم:

ـ امساك العصا سنة الأنبياء وعلامة المؤمن وزينة الصلحاء وسلاح على الأعداء وعون للضعفاء وغم المنافقين وزيادة فى الطاعات ويقال: إذا كان مع المؤمن عصا يهرب منه الشيطان ويخشع منه الفاجر والمنافق وتكون قبلته إذا صلى وقوته إذا أعيا[1].

قالت زينب:

ـ ما معنى منافق؟

قالت الأم:

ـ من يظهر خلاف ما يبطن.

فقال أحمد:

ـ ذو الوجهين؟

قال الأب:

ـ نعم

(١) أعيا: تعب ومرض.

قالت الأم لزوجها:

ـ حدثنا عن قصة الحجاج بن يوسف والطفل معجزة عصره.

فقال الأب:

ـ يالها من قصة.. ذات يوم غمرت الشمس بأشعتها قصر الحجاج بن يوسف الثقفى الذى جلس فى منظرة ـ حجرة كبيرة لإستقبال وجوه وأشراف وسادات الناس ـ وعنده ناس من أهل العراق فأدخل عليه طفل من الخوارج.

قالت أسماء:

ـ كم كان عمر هذا الطفل آن ذاك؟

قال الأب:

ـ كان له من العمر بضع عشرة سنة.

قال محمد:

ـ ماذا فعل هذا الطفل عندما وجد نفسه أمام أمير ظالم طاغية؟

تبسم الأب وقال:

ـ لم يعبأ بالحجاج بن يوسف ولم يكترث به وإنما أخذ ينظر إلى المنظرة وما فيها من العجائب والتحف وراح يلتفت يمينا وشمالا ثم قرأ قوله تعالى: **﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ. وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾** (1).

قالت زينب:

ـ ما معنى الآيتين الكريمتين يا أبى؟

(1) الشعراء: ١٢٨ ـ ١٢٩.

قال الأب:

ـ أى تبنون بكل مكان مرتفع آية علما تلعبون بها لتشرفوا وترتفعوا على المارة والسابلة فتسخرون منهم وتتخذون منازل وحصونا مشيدة فهل تخلدون؟

قال محمد:

ـ هل عرف فى زمن الحجاج المصانع؟

قالت الأم:

ـ ليس المقصود بالمصانع مصانع السيارات والآلات ولكن مصانع الماء ومفردها مصنعة ومصنع وهى كالحوض يجمع فيها ماء المطر والمضانع قد تكون بمعنى الحصون.

قالت أسماء:

ـ ماذا قال الحجاج بن يوسف لما سمع الطفل معجزة عصره قرأ الآيتين الكريمتين؟

قال الأب:

ـ كان الحجاج متكئا فاستوى فى مقعده وقال:

ـ يا غلام إنى أرى لك عقلا وذهنا أحفظت القرآن؟

قال الطفل:

ـ أوخفت عليه من الضياع؟

فسكت الحجاج... فقال الغلام:

ـ لقد حفظ الله كتابه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (١).

(١) الحجر: ٩.

فقال الحجاج بن يوسف:

ـ أفجمعت القرآن؟

فتساءل الغلام:

ـ أو كان مفرقا حتى أجمعه؟

فقال الحجاج بن يوسف:

ـ أفأحكمت القرآن؟

فعاد الغلام يتساءل:

ـ أليس العزيز الحكيم أنزله محكما؟

قال الحجاج بن يوسف:

ـ أفاستظهرت القرآن؟

قالت زينب لأبيها:

ـ ما معنى استظهرت القرآن؟

قالت الأم:

ـ حفظت القرآن عن ظهر قلب.

قال الأب:

ـ أجاب الغلام: معاذ الله أن أجعل القرآن وراء ظهرى.

فغضب الحجاج بن يوسف الثقفى... إن الغلام يحاوره ويناوره ويجادله.

وصرخ الحجاج فى وجه الغلام:

ـ ويلك.. قاتلك الله ماذا أقول؟

قال الغلام:

- الويل لك ولقومك قل: أوعيت القرآن فى صدرك؟

فتساءل محمد:

- ما معنى الويل يا أبى؟

قال أحمد:

- ويل كلمة مثل ويح إلا أنها كلمة عذاب والويل: واد فى جهنم لو أرسلت فيه الجبال لماعت من حره.

قالت أسماء:

- ماذا فعل الحجاج بالغلام عندما قال له ويلك؟

قال الأب:

- كظم غضبه وغيظه وقال من بين أسنانه: اقرأ شيئا من القرآن فاستفتح الغلام: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ [1] ورأيت الناس - يخرجون من دين الله - أفواجا

فصاح الحجاج بن يوسف:

- ويحك إنهم يدخلون.

فرد الغلام:

- كانوا يدخلون فى دين الله أفواجا [2] أما اليوم صاروا يخرجون

فتساءل الحجاج:

- ولم يخرجون اليوم؟

(١) النصر: ١.

(٢) أفواجا: جماعات.

قال الغلام معجزة عصره:

- لسوء فعلك بهم.

فغضب الحجاج بن يوسف الثقفى وقال:

- ويلك يا غلام.. وهل تعرف من تخاطب؟

قال الغلام فى هدوء:

- نعم شيطان ثقيف .. الحجاج

فقال الحجاج بن يوسف:

- ويلك.. من رباك؟

قال الغلام:

- الذى زرعنى

فقال الحجاج بن يوسف الثقفى:

- فمن أمك؟

قال الغلام:

- التى ولدتنى

فتساءل الحجاج بن يوسف:

- فأين ولدت؟

قال الغلام:

- فى بعض الفلوات

قالت زينب:

- ما معنى كلمة الفلوات؟

قالت الأم:

ـ جمع فلاة وهى الصحراء.

قال الأب:

عاد الحجاج بن يوسف يتساءل: فأين نشأت؟

قال الغلام:

ـ فى بعض البرارى

فقال الحجاج بن يوسف الثقفى:

ـ أمجنون أنت فأعالجك؟

قال الغلام:

ـ لو كنت مجنونا لما وصلت إليك ووقفت بين يديك كأننى ممن يرجو فضلك أو يخاف عقابك.

فتساءل الحجاج بن يوسف:

فما تقول فى أمير المؤمنين؟

تساءلت أسماء:

من هو أمير المؤمنين فى ذلك الوقت يا أبى؟

قالت الأم:

ـ عبد الملك بن مروان.

قال الأب:

قال الغلام معجزة عصره: رحم الله أبا الحسن رضى الله عنه وأسكنه جنان خلده.

قال محمد:

ـ يا أبت ألا يقصد بأبى الحسن أمير المؤمنين على بن أبى طالب؟

تبسم الأب وقال:

ـ نعم بارك الله لك

قال أحمد:

ـ ماذا قال الحجاج بن يوسف عندما سمع الغلام يثنى على أمير المؤمنين على؟

قال الأب:

قال الحجاج بن يوسف: ليس هذا عنيت [1] إنما أعنى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان.

قال الغلام:

ـ على الفاسق الفاجر لعنة الله.

فقال الحجاج بن يوسف فى غضب:

ـ ويحك.. بم استحق اللعنة أمير المؤمنين؟

تساءلت زينب:

ـ ما معنى اللعنة؟

قالت الأم:

ـ نهانا رسول الله ﷺ أن نلعن بعضنا بعضا حتى الحيوان لا نلعنه فاللعنة معناها الطرد من رحمة الله عز وجل.

قال الغلام: أخطأ أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان خطيئة ملأت مابين السماء والأرض.

---

(١) عنيت: قصدت.

فتساءل الحجاج بن يوسف الثقفى:

ـ ما هى؟

قال الغلام:

ـ استعماله اياك على رعيته فجعلك حاكما على أهل العراق تستبيح أموالهم وتستحل دماءهم.

قال أحمد:

ـ لقد كان الطفل شجاعا فى وعظه وارشاده ومجاهدته لطاغية فاسق[1] وأعانه على ذلك بطانة السوء التى حوله.

فقالت الأم:

ـ لقد أخبرنا النبى الخاتم ﷺ أن البطانة التى تلتف حول الحاكم إذا صلحت صلح الحاكم وإذا فسدت فسد الحاكم.

تبسم الأب وقال:

ـ التفت الحجاج بن يوسف إلى جلسائه[2] وسألهم:

ـ ما تشيرون فى هذا الغلام؟

قالوا:

اسفك دمه فقد خلع الطاعة وفارق الجماعة.

تساءل محمد:

ـ ما معنى اسفك دمه؟

---

(١) فاسق: الفسق: الخروج عن طريق الحق والخير والخروج عن أمر الله عز وجل.
(٢) جلسائه: بطانته.

قالت أسماء:

ـ يعنى اقتله.

فعادت زينب تقول:

ـ ماذا قال الغلام عندما سمع قول البطانة الفاسدة؟

قال الأب:

ـ قال الغلام: يا حجاج جلساء أخيك فرعون خير من جلسائك حين قالوا لفرعون عن موسى وهارون عليهما السلام «أرجه وأخاه» وهؤلاء يأمرون بقتلى.

قال الحجاج بن يوسف:

ـ لقد أشاروا نصفا ـ أنصف الرجل: عدل ـ

قال الغلام:

ـ لم ينطقوا حقا ولم يعدلوا.

قال الحجاج بن يوسف:

ـ لم؟

قال الغلام:

ـ لأنهم أقاموا عليك الحجة بين يدى الله ملك الجبارين ومذل المستكبرين.

فقال الحجاج بن يوسف:

ـ هذب ألفاظك وقصر لسانك فإنى أخاف عليك بادرة الأمر وقد أمرت لك بأربعة آلاف درهم

قال الغلام:

ـ لا حاجة لى بها . . بيض الله وجهك وأعلى كعبك.

فالتفت الحجاج بن يوسف إلى جلسائه فقالوا:

ـ لقد هذب الغلام ألفاظه وقصر لسانه ودعا الله لك.

فهز الحجاج بن يوسف رأسه وتساءل:

ـ هل تظنون أن هذا دعاء لى؟

قالوا:

ـ نعم

قال الحجاج بن يوسف الثقفى:

ـ لا

قالوا:

ـ الأمير أعلم

قال الحجاج بن يوسف الثقفى:

ـ أراد بقوله: بيض الله وجهك: العمى والبرص وبقوله: أعلى الله كعبك: التعليق والصلب [1].

ثم التفت الحجاج بن يوسف إلى الغلام وقال له:

ـ ما تقول فيما قلت ـ ما رأيك ـ؟

قال الغلام معجزة عصره:

قاتلك الله . . لقد فهمت ما أردت قوله.

---

(١) الصلب: الشنق.

فامتلأ صدر الحجاج بن يوسف الثقفى غضبا وأمر بضرب عنق الغلام.

فقال الغلام فى فرح:

ـ الحمد الله.. هنيئا لى الشهادة أن تدركنى السعادة والله إن القتل فى سبيل الله أحب إلى من أن أرجع إلى أهلى صفر اليدين.

فعجب الحجاج.. ثم قال:

ـ يا غلام قد أمرنا لك بجائزة مائة ألف درهم وعفونا عنك لحداثة [٢] سنك وصفاء ذهنك وهناء وحسن توكلك على الله واياك والجرأة على أولياء الأمر [٣] فتقع مع من لا يعفو عنك.

فقال الغلام:

ـ العفو بيد الله والشكر له لا لك ولا جمع الله بينى وبينك.

ولما هم الغلام معجزة عصره بالخروج من قصر الحجاج بن يوسف الثقفى هجم الحرس عليه.. وكان الحجاج ينظر إليه فى إعجاب فأشار بيده لحراسه وقال:

ـ دعوه.

وتبسم الحجاج بن يوسف الثقفى وقال بصوت لم يسمعه سواه:

ـ فوالله ما رأيت أشجع منه قلبا ولا أفصح منه لسانا ولعمرى ما وجدت مثله قط وعسى هو لا يجد مثلى فإن عاش هذا الغلام ليكونن أعجوبة ومعجزة عصره.

---

(١) حداثة: صغر.

(٢) أولياء الأمر: الولاة والحكام.

صاحب الجبار

كان رسول الله ﷺ يوما مع أصحابه فى مسجده فمر عليه رجل فقال:

ما تقولون فى هذا؟

قالوا:

- حرى إن خطب أن ينكح وان شفع أن يشفع وإن قال أن يسمع.

يقول سهل بن سعد:

- فسكت رسول الله ﷺ.

فمر رجل من فقراء المسلمين فقال النبى عليه الصلاة والسلام:

- ما تقولون فى هذا؟

قالوا:

- حرى إن خطب ألا ينكح وان يشفع ألا يشفع وان قال ألا يسمع.

فقال رسول الله ﷺ.

- **هذا** - يعنى الفقير - **خير من ملء الأرض مثل هذا** - يعنى الغنى -

(رواه البخارى فى صحيحه)

قال تعالى ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ (١).

فالتقوى هى المراعى عند الله تعالى وعند رسول الله ﷺ دون الحسب والنسب

---

(١) الحجرات: ١٣.

قيل:

- لم يتفاخر بالأنساب؟

قيل:

- لأن أكرمكم عند الله أتقاكم لا أنسبكم.

قال الصادق المصدوق ﷺ:

- الحسب المال والكرم التقوى (رواه الترمذى)

وقال طبيب القلوب والعقول ﷺ:

- من أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله.

فالتقوى معناها مراعاة حدود الله تعالى أمرا ونهيا والإتصاف بما أمرك أن تتصف به والتنزه عما نهاك عنه.

قال النبى ﷺ:

- إن الله تعالى يقول يوم القيامة: إنى جعلت نسبا وجعلتكم نسبا فجعلت أكرمكم أتقاكم وأبيتم إلا أن تقولوا: فلان ابن فلان وأنا اليوم أرفع نسبى وأضع أنسابكم أين المتقون؟

وقال الهادى البشير ﷺ:

- إن أوليائى المتقون يوم القيامة وان كان نسب أقرب من نسب يأتى الناس بالأعمال وتأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم تقولون: يا محمد فأقول: هكذا وهكذا. (رواه الطبرى)

وسئل رسول الله ﷺ:

- من أكرم الناس؟

فقال عليه الصلاة والسلام:

يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم.

قالوا:

- ليس عن هذا نسألك.

قال ﷺ:

- فأكرمكم عند الله أتقاكم.

فقالوا:

- ليس عن هذا نسألك

فقال إمام الخير ﷺ:

- عن معادن العرب؟ خياركم فى الجاهلية خياركم فى الإسلام إذا فقهوا (رواه أبو هريرة).

فأنشدوا فى ذلك:

ما يصنع العبد بعز الغنى والعز كلّ العز للمتقـــى

ممن عرف الله فلم تغنــه معرفة الله فذاك الشقــى

يقول عبد الله بن عمرو بن العاص:

- سمعت رسول الله ﷺ جهارا غير سر يقول: **إن آل أبى ليسوا بأولياء إنما ولى الله وصالح المؤمنين.** (رواه مسلم)

وتزوج رجل من الأنصار امرأة فطعن عليها فى حسبها فقال الرجل:

- إنى لم أتزوجها لحسبها إنما تزوجتها لدينها وخلقها.

فقال النبى ﷺ:

ـ ما يضرك ألا تكون من آل حاجب بن زرارة.

ثم قال إمام الخير ﷺ:

ـ إن الله تبارك وتعالى جاء بالإسلام فرفع به الخسيسة وأتم به الناقصة وأذهب به اللؤم فلا لوم على مسلم إنما اللوم لوم الجاهلية.

ثم قال أبو القاسم ﷺ:

ـ إنى لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقى.

إن رسول الله ﷺ يرغبنا فى التواضع ويحذرنا من الكبر والزهو . . .

بينما طفل رضيع يرضع ثدى أمه كعادته مر رجل متبهرج فى ثيابه يركب دابته أمام تلك المرأة التى ترضع وليدها فنظرت إلى حسن ثوبه وجمال فرسه فتمنت أن يعيش طفلها وأن يبلغ ما بلغ ذلك الرجل فرفعت كفيها إلى السماء وقالت:

ـ اللهم اجعل ابنى مثل هذا.

ويترك الطفل الرضيع ثدى أمه وينطقه القادر المقتدر الذى لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء فيقول:

ـ اللهم لا تجعلنى مثله.

كيف يطلب الطفل الذى فى حجر أمه عكس ما طلبته له أمه؟ إن الأم تتمنى السعادة والهناءة لأولادها وترجو لهم الرخاء.

ثم عاد الطفل الرضيع إلى ثدى أمه يلتقمه ليكمل رضاعته. . فمرت جماعة من الناس بجارية ـ فتاة ـ يضربونها ويلعنونها ويرمونها بأبشع تهمتين:

ـ تقدمى يا زانية

ـ تقدمى يا سارقة.

الفتاة تقول من خلال دموعها:

ـ حسبى الله ونعم الوكيل . . حسبى الله ونعم الوكيل.

فرفعت أم الطفل الرضيع يديها إلى السماء وقالت:

ـ اللهم لا تجعل ابنى مثلها.

هل صدقت الأم اتهام القوم للفتاة؟

ويترك الطفل الرضيع ثدى أمه ويقول وهو فى حجرها:

ـ اللهم اجعلنى مثلها.

فتساءلت الأم:

ـ مر رجل حسن الهيئة فقلت: اللهم اجعل ابنى مثل هذا فقلت: اللهم لا تجعلنى مثله.

ومروا بهذه الجارية وهم يضربونها ويقولون: زنيت . . سرقت فقلت: اللهم اجعلنى مثلها.

فقال الغلام الرضيع:

ـ إن ذلك الرجل جبار فقلت: اللهم لا تجعلنى مثله.

سبحان الله . . . هل يعرف طفل فى مهده حقيقة الجبروت؟ إنه لا يعرف حال نفسه فكيف عرف حال غيره؟ من علمه معنى التواضع؟ أليس هذا الهام من رب الأرباب؟ واكرام من مسبب الأسباب؟

قالوا فى التواضع:

أقبل على النفس واستكمل فضائلها   فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

يقول ﷺ:

ـ يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر ـ أصغر النمل ـ **فى صور الرجال يغشاهم الذل فى كل مكان يساقون إلى سجن من جهنم يسمى بولس تعلوهم نار الأنيار ويسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال.**

(رواه البخارى فى الأدب المفرد ـ باب الكبر ـ)

ويكمل الصبى الرضيع حديثه مع أمه ليبين لها قوله عن الجارية:

ـ اللهم اجعلنى مثلها.. انهم يقولون زنيت ولم تزن.. ويقولون: سرقت ولم تسرق.

أليست هذه براءة من فوق سبع سماوات على لسان طفل فى المهد لهذه الفتاة التى رماها الناس ظلما وبهتانا وزورا؟

يقول أبو هريرة:

ـ قال رسول الله ﷺ: **كانت امرأة ترضع ابنا لها فى بنى اسرائيل فمر بها راكب ذو شارة فقالت:**

ـ اللهم اجعل ابنى مثله.

فترك ثديها وأقبل على الراكب وقال:

ـ اللهم لا تجعلنى مثله

ثم أقبل على ثديها يمصه، ثم مر بأمة ـ فتاة ـ **فقالت أمه:**

ـ اللهم لا تجعل ابنى مثل هذه

فترك ثديها وقال:

ـ اللهم اجعلنى مثلها

فقالت ـ الأم ـ:

ـ لم ذاك؟

فقال ـ الطفل الرضيع ـ:

ـ الراكب جبار من الجبابرة وهذه الأمة يقولون: سرقت زنت، ولم تفعل (رواه البخاري في صحيحه).

العبد الشاكر

أقبل أحمد وأسماء ومحمد وزينب فى لهفة لسماع القصة التى وعدهم بها الأب الذى جلس وسط أبنائه فى راحة وسعادة وقال:

- هل تذكرون ما يقربنا إلى الجنة؟

قال الأبناء:

- نعم.. التوبة ومعناها الرجوع إلى الله.

فقال الأب:

- أحسنتم.. وسنتحدث الليلة عن الأمر الثانى الذى يؤدى إلى الطريق إلى الجنة ويقربنا إليها وهو الشكر فقد أمر الله عز وجل بالشكر ونهى عن ضده وأثنى على أهله ووصف به خواص أهله فقال﴿ **وقليل مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾[1] وجعله غاية خلقه ووعد أهله بأحسن جزائه واشتق له منه اسما من أسمائه سبحانه هو الشكور.

فقالت الزوجة:

- جاء فى الصحيحين عن النبى ﷺ أنه قام حتى تورمت قدماه فقيل له: تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: أفلا أكون عبدا شكورا؟

فأثنى الأب على الأم وقال:

- إن هذا يذكرنى بقصة العبد الشاكر

---

(١) سبأ: ١٣.

قال الأبناء :

ـ يا أبى نود أن تحكيها لنا .

قال الأب:

ـ نعم يا أبنائى انها من أحسن القصص . . فقد جلس أصحاب رسول الله ﷺ يوما فى مسجده وراحوا يتحدثون عن البلاء والمرض فقال عروة ابن الزبير عن خالته عائشة :

ـ قال رسول الله ﷺ : **ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كَفَّرَ اللَّهُ بها عنه حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خَطَايَاه.**

قال أبو هريرة:

ـ سمعت خليلى ﷺ يقول : **إن ثلاثة نفر فى بنى إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى أراد الله أن يبتليهم.**

فتساءل محمد:

ـ ما المقصود بالأبرص يا أبى؟

قال الأب:

ـ البرص داء معروف .

فقالت أسماء:

ـ كيف ابتلى الله عز وجل الثلاثة رجال من بنى إسرائيل؟

قال الأب:

ـ بعث إليهم ملكا فأتى الأبرص فقال :

ـ أى شيء أحب إليك؟

قال الأبرص:

ـ لون حسن وجلد حسن قد قذرنى الناس.

فمسحه فذهب ـ البرص ـ وأعطى لونا حسنا وجلداً حسناً.

فقال الملك:

ـ وأى المال أحب إليك؟

قال الأبرص:

ـ الإبل.

فأعطى ناقة عشراء

فتساءلت زينب:

ـ ما المقصود بالناقة العشراء؟

قال الأب:

ـ ناقة حامل

فقال الملك:

ـ يبارك لك فيها

وأتى الأقرع فقال:

ـ أى شىء أحب إليك؟

قال الأقرع:

ـ شعر حسن فيذهب هذا عنى قد قذرنى الناس

فمسحه فذهب ـ القراع ـ وأعطى شعرا حسنا.

وقال الملك:

فأى المال أحب إليك؟

قال الأقرع:

ـ البقر.

فأعطاه بقرة حاملا وقال:

ـ يبارك لك فيها

وأتى الأعمى فقال:

ـ أى شىء أحب إليك؟

قال الأعمى:

ـ يرد إلى بصرى فأبصر به الناس

فمسحه فرد الله إليه بصره.

وقال الملك:

ـ فأى المال أحب إليك؟

قال الأعمى:

ـ الغنم

فأعطاه شاة والدا ـ حاملا ـ

تساءل أحمد:

ـ ماذا فعلت الناقة العشراء والبقرة الحامل والشاة الحامل؟

قال الأب:

ـ فأنتج هذان وولد هذا فكان لها واد من الإبل.

ولهذا واد من بقر

ولهذا واد من غنم.

ثم أنه ـ الملك ـ أتى الأبرص فى صورته وهيئته.

فتساءلت أسماء:

ـ ما المقصود أن الملك أتى الأبرص فى صورته وهيئته يا أبى؟

قال الأب:

ـ أتاه فى الصورة التى كان عليها لما اجتمع به ليكون ذلك أبلغ فى إقامة الحجة عليه.

فقال محمد:

ـ ماذا قال الملك للأبرص؟

قال الأب:

ـ قال: رجل مسكين تقطعت به الحبال ـ الأسباب ـ فى سفرى فلا بلاغ لى اليوم إلا بك أسألك بالذى أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيرا ـ جملا أو ناقة ـ أتبلغ عليه فى سفرى

فقال ـ الأبرص ـ له:

ـ ان الحقوق كثيرة

فقال له ـ الملك ـ:

ـ كأنى أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيرا فأعطاك الله؟

قال ـ الأبرص ـ:

ـ لقد ورثت ذلك كابرا عن كابر

قالت زينب:

ـ ما معنى كابرا عن كابر ياأبى؟

قال الأب:

ـ لم يكتف الأبرص بأن جحد نعمة الله عليه حين شفاه من البرص وادعى أنه ورث هذه الإبل لكبير عن كبير فى العز

قال أحمد مستنكرا:

ـ ياله من جاحد لنعم الله ماذا فعل الملك حينئذ؟

قال الأب:

ـ قال له الملك: ان كنت كاذبا فصيَّرَكَ الله إلى ما كنت

وأتى الأقرع فى صورته وهيئته فقال له:

ـ رجل مسكين تقطعت بى الحبال فى سفرى فلا بلاغ لى اليوم إلا بك أسألك بالذى أعطاك الشعر الحسن والمال بعيرا أتبلغ عليه فى سفرى.

فقال ـ الأقرع ـ:

ـ إن الحقوق كثيرة

فقال ـ الملك ـ:

ـ كأنى أعرفك ألم تكن أقرع يقذرك الناس فقيرا أعطاك الله؟

قال ـ الأقرع ـ:

ـ لقد ورثت لكابر عن كابر

قال محمد:

ـ لقد قال وزعم كما قال وزعم صاحبه الأبرص.

قال الأب:

- قال - الملك -: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت.

وأتى الأعمى فى صورته وهيئته فقال:

- رجل مسكين وابن سبيل وتقطعت بى الحبال فى سفرى فلا بلاغ لى اليوم إلا بالله وبك أسألك بالذى رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها فى سفرى.

فقال - الأعمى -:

- قد كنت أعمى فرد الله بصرى وفقيرا فأغنانى الله فخذ ما شئت فوالله لا أجهدك - لا أشق عليك - اليوم بشىء أخذته لله.

النفس المطمئنة

نظر الأب إلى أولاده أحمد وأسماء ومحمد وزينب بحب وامتنان فحمد الله عز وجل على نعمه التى لاتحصى ثناءه انتقل بصره إلى زوجته التى تفرغت لخدمة أبنائها وقضاء مطالبهم ثم قال:

ـ يا أبنائى وعدتكم أن أقص عليكم عقب صلاة العشاء قصة صاحب النفس المطمئنة التى بشر النبى الخاتم ﷺ صاحبها بالجنة.

فظهر الفرح والسرور على الوجوه وأقبل الجميع على الأب فى لهفة وتساءل أحمد:

ـ لماذا سميت جنة؟

قال الأب:

ـ سميت جنة لأن أشجارها كثيفة الأغصان تستر وتغطى ما وراءها

فقالت زينب:

ـ هل للجنة أسماء أخرى؟

تبسم الأب وقال:

ـ نعم الجنة اسمها العام والمتناول لتلك الدار وما اشتملت عليه من النعيم والبهجة والسرور وقرة الأعين وتسمى دار السلام، ودار الخلد، ودار المقامة، وجنة المأوى، وجنات عدن، ودار الحيوان، والفردوس، وجنات النعيم، والمقام الأمين، ومقعد صدق، وقدم صدق.

قال محمد:

ـ إن للجنة اثنى عشر إسما إذا؟

قال الأب:

- نعم يبدو أنك أحصيت أسماء الجنة على أصابع يديك

قال محمد:

- نعم. . . ونرجو أن تحدثنا عن نعيم الجنة.

قال الأب:

- أعد الله سبحانه وتعالى لعباده الصالحين فى الجنة نعيما مقيما يفوق تصورنا وتقديراتنا ويتعدى تمنياتنا وتوقعاتنا ففيها ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين تكرمات وفضلا وتعطفا من الله الكريم الحليم على عباده المتقين.

قالت أسماء:

- من الصحابى الجليل الذى بشره نبى الرحمة ﷺ بالجنة؟

قال الأب:

كان رسول الله ﷺ يحدث أصحابه عن نعيم الجنة الدائم الأبدى. . ثم نظر نحو باب مسجده وقال:

- ليطلعن عليكم رجل الآن من هذا الباب من أهل الجنة.

فتزاحمت عيون أصحاب رسول الله ﷺ عند باب مسجده. وانتقل بصر عبد الله بن عمرو بن العاص بين وجوه أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى و. . فمن هذا القادم الذى ضمن له النبى عليه الصلاة والسلام الجنة غير هؤلاء؟ هل سيدخلها بغير حساب؟ هل هو من أدنى أهل الجنة منزلة؟ من أعلى أهلها منزلة؟.

وطلع سعد بن مالك الأنصارى يقطر الماء من لحيته بعد وضوئه وقد علق نعليه بيده الشمال.

ولما كان الغد أخذ النبى عليه الصلاة والسلام يحدث أصحابه عن أول من يدخل الجنة وأفضل من يدخلها.. ثم قال:

- ليطلعن الآن عليكم من هذا الباب رجل من أهل الجنة.

وطلع سعد بن مالك الأنصارى مثل المرة الأولى.

ولما كان اليوم الثالث راح رسول الله ﷺ يخبر أصحابه أن الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء.. ثم قال:

- يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة.

وطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأول.. فلما قام النبى عليه الصلاة والسلام قال عبد الله بن عمرو:

- ما أنا بالذى أنتهى حتى أبايت هذا الرجل فأنظر عمله.

ثم خرج فتبع سعد بن مالك الأنصارى.. وقال له:

- إنى خاصمت أبى فأقسمت ألا أدخل عليه ثلاثا فإن رأيت أن تؤوينى إليك حتى تمضى فعلت.

قال سعد بن مالك الأنصارى:

- نعم

فناول عبد الله بن عمرو بن العاص عباءة فجلس عليها قريبا منه ثم نام عليها وجعل يرقبه كل ليلة فإذا استيقظ وتقلب على فراشه ذكر الله وسبح وكبر وهلل وحمد الله حتى إذا كان الفجر قام فتوضأ ثم دخل المسجد فصلى.

ومضت الثلاث الليالى فقال عبد الله بن عمرو فى نفسه:

- إن الرجل لم يقم الليل ولم يصل فى جوف الليل.

وكاد يحتقر عمل سعد بن مالك الأنصارى. فقال له:

- يا ابن مالك لم يكن بينى وبين أبى غضب ولا هجرة ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول ثلاث مرات: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة.. فطلعت أنت الثلاث المرات فأردت أن آوى إليك فأنظر ما عملك فأقتدى بك فلم أرك عملت عملا كبيرا تستحق عليه دخول الجنة. فما الذى بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ؟

فقال الأبناء:

- انه لم يعمل عملا يستحق عليه أن يفوز بالجنة ونعيمها فلماذا بشره خاتم النبين ﷺ بالجنة؟

قال الأب وقد تظاهر أنه لم يسمع قول أولاده:

- قال سعد بن مالك الأنصارى لعبد الله بن عمرو بن العاص: ما هو إلا مارأيت.

فلما هم عبد الله بن عمرو بالإنصراف قال سعد بن مالك الأنصارى:

- غير أنى لا أجد فى نفس لأحد من المسلمين غشا ولا أحسد أحدا على خير أعطاه الله اياه.

قال عبد الله بن عمرو بن العاص:

- هذه التى جعلتك تستحق الجنة

قال الأبناء:

- وهل هناك أفضل من رجل صاحب نفس مطمئنة ينام ولا يحمل فى صدره حقدا ولا غشا ولا كراهية لأحد؟

بر الوالدين

قرأ أحمد هاتين الآيتين ﴿وقَضَى رَبُّك ألاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إيَّاهُ وَبالْوَالدَيْن إحْسَاناً إمَّا يَبْلُغَنَّ عندَكَ الكبرَ أحَدُهُمَا أَوْكلاهُمَا فَلاَ تَقُل لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا. و اخْفضْ لَهُمَا جَنَاح الذُّلِّ منَ الرَّحْمَة وَقُل رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيراً﴾ (١).

فقال الأب:

قضى أى أمر وأوجب ووصى ربك ألا تعبدوا الا اياه بأن لا تعبدوا إلها غيره يعنى وصى بعبادته وتوحيده وبالوالدين إحسانا أى وأمر بأن تحسنوا إلى الوالدين

فتساءلت أسماء:

ـ لماذا قرن تبارك وتعالى بعبادته بر الوالدين؟

قال الأب فى فرح:

ـ أحسنت يا أسماء سؤال رائع لقد قرن الله عز وجل بعبادته بر الوالدين لبيان حقهما العظيم على الولد لأنهما السبب الظاهر لوجوده وعيشه.

اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما أى قد أوصيناك بهما خاصة إذا كبرا أو كبر أحدهما.

فقال محمد:

ـ لماذا خص سبحانه وتعالى حالة الكبر؟

---

(١) الإسراء: ٢٣ ـ ٢٤.

قال الأب:

ـ وإنما خص الله تبارك وتعالى حالة الكبر لأن الوالدين حينئذ أحوج إلى البر والقيام بحقوقهما لضعفهما ولذلك قال ﴿**عِنْدَكَ**﴾ أى فى كنفك وكفالتك.

﴿**فلا تقل لهما أف**﴾ أى لا تقل للوالدين كلمة أقل من أف تظهر الضجر ولا تسمعهما قولا سيئا حتى ولو بكلمة التأفف. ولو كان هناك كلمة أقل من أف لذكرها الله عز وجل.

﴿**ولا تنهرهما**﴾ أى لا تزجرهما فالنهر أى الزجر والغلظة.

﴿**وقل لهما قولا كريما**﴾ أى قل لهما قولا حسنا لينا طيبا بأدب ووقار وتعظيم.

﴿**واخفض لهما جناح الذل من الرحمة**﴾ أى ألن جانبك وتواضع لهما بتذلل وخضوع من فرط رحمتك وعطفك عليهما.

﴿**وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا**﴾ أى ادع لهما بالرحمة وقل فى دعائك يارب ارحم والدى برحمتك الواسعة كما أحسنا إلى فى تربيتهما حالة الصغر.

ثم قال الأب:

ـ إن هاتين الآيتين الكريمتين تذكرنى بقصة جميلة.

فقال الأبناء فى لهفة:

ـ نود أن تحكيها لنا يا أبى

فقال الأب:

ـ جلس رسول الله ﷺ فى مسجده ومعه أصحابه يحدثهم عن بر الوالدين والإحسان إليهما فأقبل رجل من الأنصار وقال:

ـ يا رسول الله ان علقمة قد حضرته الوفاة فقلنا له: قل لا إله إلا الله.. فلم يستطع.

فتساءل النبى عليه الصلاة والسلام:

ـ كان يصلى؟

قال الرجل:

ـ نعم

فنهض رسول الله ﷺ ومعه نفر من أصحابه ومشوا إلى دار علقمة. ودخل النبى عليه الصلاة والسلام عليه وقال له:

ـ قل لا إله إلا الله

فقال علقمة:

ـ لا أستطيع

فتساءل رسول الله ﷺ:

ـ ولم؟

فقال أهل بيت علقمة:

ـ كان يطيع زوجته ويعق والدته

فقال النبى عليه الصلاة والسلام:

ـ أحية والدته؟

قالوا:

ـ نعم

قال رسول الله ﷺ:

ـ ادعوها

فجاءت أم علقمة فقال لها النبى عليه الصلاة والسلام:

ـ هذا ابنك؟

فنظرت نحو علقمة وقالت:

ـ نعم

فقال رسول الله ﷺ:

ـ أرأيت لو أججت نارا ضخمة فقيل لك إن شفعت له خلينا عنه وإلا حرقناه بهذه النار أكنت تشفعين له؟

قالت أم علقمة:

ـ يا رسول الله إذا أشفع

قال النبى عليه الصلاة والسلام:

ـ فأشهدى الله وأشهدينى أنك قد رضيت عنه

وضعت أم علقمة يدها على رأس ابنها وقالت:

ـ اللهم إنى أشهدك وأشهد رسولك أنى قد رضيت على ابنى علقمة.

فقال رسول الله ﷺ لعلقمة:

ـ يا غلام قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

فقال علقمة:

ـ لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

فقال رسول الله ﷺ:

ـ الحمد لله الذى أنقذه بى من النار.

الرسل الثلاثة

أخذ الأب مجلسه وسط أولاده أحمد وأسماء وزينب ومحمد وزوجته بعد أن صلوا جميعا صلاة العشاء وقبل أن يحكى لهم القصة التى وعدهم بها قال أحمد:

ـ علمت أن جارنا فلانا مريض

فقال الأب:

ـ علينا بالمسارعة إلى عيادته لقول رسول الله ﷺ: إذا مرض فعده.

وانطلق الأب إلى بيت جاره المريض.. ولما رجع سألته أسماء:

ـ كيف حاله؟

قال الأب:

إنه فى حال الأحتضار

فقال محمد:

ـ ماذا قلت له عندما وجدته نائما على فراشه؟

قال الأب:

ـ ذكرته بلا إله إلا الله فقد قال رسول الله ﷺ: **لقنوا موتاكم لا إله إلا الله.**

وقال خاتم النبين ﷺ: **من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة.**

قال أحمد فى عجب:

ـ لقد كان جارنا هذا سليما معافى أمس

قال الأب:

ـ ليست الصحة سبيل الخلود وليس المرض سبيل القبر ولعل قصة الليلة تخبرنا بذلك.

قالت أسماء وزينب:

ـ هيا يا أبى نود أن تحكيها لنا

فقال الأب:

ـ كان ملك الموت مؤاخيا وصديقا لنبى الله يعقوب عليه السلام. وذات يوم جاء ملك الموت صديقه يعقوب عليه السلام فقال له:

ـ أريد منك مطلبا أرجو أن تحققه لي بحق مابيننا من أخوة وصداقة.

فقال ملك الموت:

ـ وما هو؟

قال يعقوب عليه السلام:

ـ أن تخبرنى إذا دنا ـ اقترب ـ أجلى

فقال ملك الموت:

ـ لك منى هذا ولن أرسل إليك رسولا واحدا وإنما سأرسل رسولين أو ثلاثة.

وبعد أن اتفقا على هذا انصرف ملك الموت.

ثم عاد ملك الموت بعد مدة من الزمن. فسأله يعقوب عليه السلام:

ـ أزائرا جئت أم قابضا ـ قابضا روحى ـ؟

قال ملك الموت:

ـ بل قابضا

فنظر يعقوب عليه السلام إلى ملك الموت متعجبا ومعاتبا. إنه لم يأته رسول واحد من تلك الرسل الثلاثة التى اتفق مع ملك الموت على إرسالها فكيف يقبض روحه قبل أن..؟

قال يعقوب عليه السلام مذكرا ملك الموت:

- أين رسلك الثلاثة؟

قال ملك الموت:

- لقد بعثتها إليك

فقلب يعقوب عليه السلام يده وقال:

- لم تأت إلى

قال ملك الموت مؤكدا:

- بل جاءتك

فتساءل يعقوب عليه السلام:

- متى..؟

قال ملك الموت:

- قد فعلت.. بياض شعرك بعد سواده وضعف بدنك بعد قوته وانحناء جسمك بعد استقامته.. هذه رسلى يا يعقوب إلى بنى آدم.

فسكت يعقوب عليه السلام. كيف غاب عنه ذلك؟

يقول عز وجل: ﴿**فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَيَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ**﴾[1].

انطلقت صرخة من جوف بيت الجار... فقال الأب:

---

(١) الأعراف: ٣٤.

ـ إنا لله وإنا إليه راجعون. . سأذهب إليه فقد قال نبى الرحمة ﷺ:

ما من مؤمن يعزى أخاه بمصيبته إلا كساه الله عز وجل من حلل الكرامة.

صاحب الأخدود

لما أسلم حمزة بن عبد المطلب سر رسول الله ﷺ بإسلام عمه سرورا كبيرا فقد كان أعزفتى فى قريش وأشدهم شكيمة ـ أعظمهم فى عزة النفس وشهامتها ـ ومن ثم لما عرفت قريش أن النبى عليه الصلاة والسلام قد عز[1] كفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه ﷺ وأقبلوا على بعض أصحابه بالأذية سيما المستضعفين منهم الذين لا جوار لهم ـ لا ناصر لهم ـ فان كل قبيلة غدت على من أسلم منها تعذبه وتفتنه عن دينه بالحبس والضرب والجوع والعطش حتى أن الواحد منهم ما يقدر أن يستوى جالساً من شدة الضرب الذى به وكان أبو جهل بن هشام يحرضهم على ذلك وكان إذا سمع بأن رجلا تبع رسول الله ﷺ وله شرف ومنعة أسرع إليه وقال له:

ـ ليغلبن رأيك وليضعن شرفك

وإن كان تاجرا قال له أبو جهل:

ـ والله لنكسدن تجارتك ويهلك مالك

وان كان ضعيفا أغرى به الناس حتى أن منهم من فتن عن دينه ورجع إلى الشرك كالحارث بن ربيعة بن الأسود وأبى قيس بن الوليد بن المغيرة وعلى بن أمية بن خلف والعاص بن منبه بن الحجاج ـ شاءت ارادة وقدرة العزيز الحكيم أن هؤلاء قتلوا على كفرهم يوم بدر ـ

ولكن بقية أصحاب رسول الله ﷺ ثبتوا على دينهم ولم يرجع أحد

---

(١) عز : صار عزيزا.

منهم للكفر.. فهذا بلال بن رباح أخذه سيده أمية بن خلف وألقاه على ظهره فى الرمضاء ووضع صخرة عظيمة على صدره فيقول:

ـ أحد.. أحد

أى الله أحد أو يا أحد فهو اشارة لعدم الإشراك.. فربا غيظ أمية بن خلف وأخذ بلال وانهال عليه ضربا ويقول له:

ـ لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى فيقول:

ـ أحد.. أحد

فيصرخ أمية بن خلف من بين أسنانه:

ـ قل كما نقول: ربك اللات والعزى

فيقول بلال بن رباح:

ـ إن لسانى لا يحسنه.. لا أشرك بالله شيئا أنا كافر باللات والعزى

ومر رسول الله ﷺ على بلال وهو يعذب ويقول: أحد.. أحد

فقال أبو القاسم ﷺ:

ـ سينجيك أحد أحد

وممن فتن عن دينه فثبت على الإسلام خباب بن الأرت فقد كان قينا ـ حدادا ـ وكان عبدا لأم أنمار فكانت تأخذ الحديدة وقد أحمتها بالنار وتضعها على رأس خباب.. بل أوقد مشركو مكة له نارا ووضعوها على ظهره فما أطفأها إلا ودك ظهره ـ أى دهنه ـ

وكان عمار بن ياسر وأبوه ياسر وأمه سمية يعذبون فى الله فمر بهم رسول الله ﷺ فقال:

ـ يا نار كونى بردا وسلاما على عمار كما كانت على إبراهيم.

وقال عليه الصلاة والسلام:

ـ صبرا آل ياسر، صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة

وقال نبى الرحمة ﷺ:

ـ صبرا آل ياسر، اللهم اغفر لآل ياسر

وأعطى أبو حذيفة بن المغيرة سمية لأبى جهل فقال لها:

ـ ما آمنت بمحمد إلا لأنك عشيقته لجماله.

وطعنها عدو الله أبو جهل فى قبلها[١] بالحربة فماتت فكانت أول شهيدة فى الإسلام. كما مات ياسر زوجها فى العذاب فكان أول شهيد فى الإسلام ـ قيل: ان أول شهيد فى الإسلام هو الحارث بن أبى هالة ـ

وجاء عمار بن ياسر النبى عليه الصلاة والسلام فقال:

ـ لقد بلغ منا العذاب كل مبلغ

فقال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ:

ـ صبرا أبا اليقظان

ثم قال عليه الصلاة والسلام:

ـ اللهم لا تعذب أحدا من آل عمار بالنار.

وبلغ الصبر ذروته فجاء خباب بن الأرت وعمار بن ياسر النبى ﷺ وهو متوسد بردة فى ظل الكعبة وقد لقى المسلمون من المشركين شدة شديدة فقال خباب بن الأرت:

---

(١) قبلها: فرجها.

ـ يا رسول الله ألا تدعو الله لنا؟

فقعد ﷺ محمرا وجهه فقال:

ـ إنه كان من قبلكم ليمشط أحدهم بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على فرق رأس أحدهم فينشق ما يصرفه ذلك عن دينه، وليظهرن الله تعالى هذا الأمر حتى يصير الراكب من صنعاء إلى حضر موت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه (رواه البخارى عن خباب)

وجاء صهيب بن سنان الرومى يشتكى فقال رسول الله ﷺ:

ـ كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر قال للملك:

ـ إنى قد كبرت فابعث إلى غلاما أعلمه السحر

فبعث إليه غلاما يعلمه فكان فى طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه فإذا أتى الساحر ضربه فشكا ذلك إلى الراهب فقال:

ـ إذا خشيت الساحر فقل: حبسنى أهلى وإذا خشيت أهلك فقل: حبسنى الساحر.

فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة قد حبست الناس فقال ـ الغلام ـ:

ـ اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟

فأخذ حجرا فقال:

ـ اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضى الناس.

فرماها فقتلها.. ومضى الناس فأتى ـ الغلام ـ الراهب فأخبره فقال له الراهب:

ـ أى بنى؟ أنت اليوم أفضل منى، قد بلغ من أمرك ما أرى وأنك ستبتلى فإذا ابتليت فلا تدل على.

وكان الغلام يبرئ الأكمه ـ يشفى الذى ولد أعمى مطبق العينين أو الأعشى ـ والأبرص ـ البرص: مرض معروف يصيب الجلد ـ ويداوى الناس من سائر الأدواء فسمع جليس للملك كان قد عمى فأتاه ـ الغلام ـ بهدايا كثيرة فقال:

ـ ماها هنا لك أجمع إن أنت شفيتنى

فقال ـ الغلام ـ:

ـ إنى لا أشفى أحدا إنما يشفى الله فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك.

فآمن ـ جليس الملك ـ بالله فشفاه الله ـ رد عليه بصره ـ فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس فقال له الملك:

ـ من رد عليك بصرك؟

قال ـ جليس الملك ـ:

ـ ربى

قال ـ الملك ـ:

ـ ولك رب غيرى؟

قال ـ جليس الملك ـ:

ربى وربك الله

فأخذه ـ الملك ـ فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجىء بالغلام فقال له الملك:

ـ أى بنى قد بلغ من سحرك ما تبرىء الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل؟

قال ـ الغلام ـ:

ـ أنا لا أشفى أحدا إنما يشفى الله

فأخذه ـ الملك ـ فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجىء بالراهب فقيل له:

ـ ارجع عن دينك

فأبى ـ امتنع ـ فدعى بالمنشار فوضع المنشار على مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه. ثم جىء بالغلام فقيل له:

ـ ارجع عن دينك

فأبى.. فدفعه ـ الملك ـ إلى نفر من أصحابه فقال:

ـ اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته ـ قمته ـ فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه.

فذهبوا به ـ بالغلام ـ فصعدوا به الجبل فقال:

ـ اللهم اكفينهم بما شئت

فرجف بهم الجبل فسقطوا .. وجاء ـ الغلام ـ يمشى إلى الملك فقال له الملك:

ـ ما فعل أصحابك؟

قال ـ الغلام ـ:

ـ كفانيهم الله

فدفعه ـ الملك ـ إلى نفر من أصحابه فقال:

ـ اذهبوا به فاحملوه فى قرقور ـ سفينة ـ فتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه.

فذهبوا به ـ إلى البحر وحملوه فى سفينة طويلة ـ فقال:

ـ اللهم اكفينهم بما شئت

فانكفأت بهم السفينة فغرقوا.. وجاء يمشى إلى الملك فقال له الملك:

ـ ما فعل أصحابك؟

قال ـ الغلام ـ:

ـ كفانيهم الله

ثم قال للملك:

ـ إنك لست بقاتلى حتى تفعل ما آمرك به

قال ـ الملك ـ:

ـ وما هو؟

قال ـ الغلام ـ:

ـ تجمع الناس فى صعيد واحد وتصلبنى على جذع ثم خذ سهما من كنانتى ثم ضع السهم فى كبد القوس ثم قل: باسم الله رب الغلام ثم ارمنى فإنك إن فعلت ذلك قتلتنى.

فجمع الناس فى صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهما من

كنانته ـ كنانة الغلام ـ ثم وضع السهم فى كبد القوس ثم قال ـ الملك ـ:

ـ بسم الله رب الغلام

ثم رماه فوقع السهم فى صدغه فوضع يده على صدغه فى موضع السهم.. فمات

فقال الناس:

ـ آمنا برب الغلام.. آمنا برب الغلام.. آمنا برب الغلام

فأتى الملك فقيل له:

ـ أرأيت ما كنت تحذر؟ قد والله نزل بك حذرك قد آمن الناس.

فأمر ـ الملك ـ بالأخدود ـ شق مستطيل مثل الخندق ـ فى أفواه السكك فحدث وأضرم النيران.

وقال ـ الملك ـ:

ـ من لم يرجع عن دينه فاحموه فيها

أو قيل له:

ـ اقتحم ـ الق بنفسك فى النار ـ

ففعلوا.. حتى جاءت امرأة ومعها صبى لها فتقاعست ـ تأخرت وتراجعت أن تقع فيها فقال لها الصبى ـ الرضيع ـ:

ـ يا أمة اصبرى فإنك على الحق (أخرجه البخارى فى كتاب العلم ورواه مسلم فى صحيحه عن صهيب الرومى).

فقال صهيب وخباب وعمار وبلال لما سمعوا رسول الله ﷺ يروى لهم قصة أصحاب الأخدود ـ كانوا بنجران إحدى مدن اليمن وكانوا فى

الفترة بين عيسى بن مريم عليه السلام ومحمد ﷺ ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُود * النَّار ذَات الوَقُود * إِذْ هُم عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالمُؤْمنِينَ شُهُودٌ﴾ (١).

- يارسول الله لن نكون أقل إيمانا وصبرا من أصحاب الأخدود.

ويقول عبد الله بن عباس:

- كان ملك - يوسف بن شراحيل بن تبع الحميرى - بنجران وفى رعيته رجل له فتى - اسمه عبد الله بن ثامر - فبعثه إلى ساحر يعلمه السحر وكان طريق الفتى - عبد الله بن ثامر - على راهب يقرأ الإنجيل فكان يعجبه ما يسمعه من الراهب فدخل فى دين الراهب فأقبل يوماً فإذا حية عظيمة .- وقيل أسد - قطعت على الناس طريقهم فأخذ - الفتى - حجرا فقال:

- بسم الله رب السموات والأرض وما بينهما

فقتلها.. وذكر نحو ما تقدم.. وأن الملك - يوسف بن شراحيل - لما رماه بالسهم وقتله قال أهل مملكة الملك:

- لا إله إلا إله عبد الله بن ثامر.

فغضب الملك وأمر فخدت أخاديد وجمع فيها حطب ونار وعرض على أهل مملكته عليها فمن رجع عن التوحيد تركه ومن ثبت على دينه قذفه فى النار، وجىء بإمرأة مرضع فقيل لها:

- ارجعى عن دينك وإلا قذفناك وولدك

فأشفقت وهمت بالرجوع.. فقال لها الصبى المرضع:

(١) البروج: ٤ -٧.

ـ يا أمي اثبتي على ما أنت عليه فإنما هي غميضة.

وقيل ان أصحاب الأخدود: هم قوم من النصارى كانوا باليمن قبل مبعث رسول الله ﷺ بأربعين سنة. وكانوا نيفا وثمانين رجلا وحفر لهم الملك أخدودا وأحرقهم فيه.

المراجع

* القرآن العظيم
* تفسير القرآن العظيم — ابن كثير
* الجامع لأحكام القرآن — القرطبى
* الأذكياء — ابن الجوزى
* الكامل فى التاريخ — ابن الأثير
* كنز العمال — الهندى
* البداية والنهاية — ابن كثير
* الزهد — أحمد بن حنبل
* إحياء علوم الدين — أبو حامد الغزالى
* مروج الذهب — المسعودى

الفهرس

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطى شبرا القاهرة
الرقم البريدى ـــ ١١٢٣١